قراءة في كتاب (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين) للعلَّامة الحِلِّيّ (ت٧٢٦هـ)
فضيلة العلم لدى الإمامِ عليٍّ عليه السلام أنموذجًا

م.د. وسن عبد العظيم فاهم الإيدامي
جامعة القادسية/كليَّة التربية

A Perusal in the Book (Kashf Al-Yaqin fi fedhayl amir Al-muminin) by Allama Al-Hilli (D.726 AH) Virtue of Knowledge according to Imam Ali (PBUH) As a Sample

Lect. Dr. Wasan Abdul Azim Fahim Al-Idami
Al-Qadisiyah University/College of Education

ملخَّص البحث

مثَّلت فضيلة العلم واحدة من الفضائل الجمَّة التي امتاز بها مولى الموحِّدين وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فهي تندرج ضمن فضائله النفسيَّة التي ضمَّها كتاب كشف اليقين بين طيَّاته، والذي عُدَّ من كتب العلَّامة الحِلِّيّ المهمَّة والمعتَبرة، فجاء هذا البحث قراءةً بين سطور الكتاب، لنستشفَّ فضيلة العلم من بين الفضائل، إذ تبيَّن لنا أنَّ تلك الفضيلة قد برزت لدى الإمام عليه السلام وفق وجوهٍ عدَّة لإظهار علمه، كالذكاء والفطنة، وشدَّة الحرص على التعلُّم، والوعي، والقضاء، والحكمة، وأنَّه باب علم الرسول الأكرم، ووريث الأنبياء، وواضع مبادئ العلوم، وممهِّد قواعد الدين، ومبيِّن أحكام الشريعة، ومرجع الصحابة في الأحكام والفتاوى وحلِّ المشكلات، وجامع القرآن بعد النبيّ، وامتلاكه المعجزات الدالَّة على علمه، حتَّى تحدَّى علماء زمانه، فقال لهم: «سَلوني قبل أن تفقدوني».

Abstract

The virtue of knowledge represented one of the great virtues that characterized the Master of the Muslims and the Commander of the Faithful, Ali bin Abi Talib (PBUH), as it falls within his special virtues included in the book Kashf al-Yaqin, which was considered one of the important and respected books of Allama al-Hilli. This research came as a careful reading of this book so that we can discover the virtue of knowledge among the virtues, as it became clear to us that this virtue had emerged in the Imam (PBUH) in several ways to display his knowledge, such as intelligence, acumen, intense eagerness to learn, awareness, judgment, and wisdom, and that he is the way. to the knowledge of the Messenger, the heir to the prophets, the founder of the principles of science, the pavement of the foundations of religion, the expounder of the rulings of Sharia, the reference of the Companions in rulings, fatwas, and problem solving, the compiler of the Qur'an after the Prophet, and his possession of miracles that indicate his knowledge, until he challenged the scholars of his time and said to them, "Ask me before you lose me."

المقدِّمة

حرصَ العلَّامة الحِلِّيّ قدس سره على بيان فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، ومؤهِّلاته لحمل الإمامة؛ لأنَّ الإمامة عهد من الله يُخبر بها نبيَّه عمَّن عهد إليه، كما يُخبره عن سائر أوامر الله وأحكامه، ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[1]، وأيضًا قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

فالإمامة التي حمل مهمَّتها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، هي عهدٌ من الله إلى نبيِّه، الذي توجَّه بها يوم غدير خم، في الحادثة المشهودة والمنصوص عليها بالنصِّ الإلهيّ، وفي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ..﴾[3]، وجعل الله بذلك اليوم كمال دينه وإتمام نعمته، إذ كان عليّ عليه السلام هو الكفؤ لخلافة رسوله، وهذا يتطلَّب من الشخص المؤهَّل أن يمتاز بصفاتٍ عدَّة وفضائلٍ جمَّة، والأمير قد امتلكها جميعًا، وعلى رأسها فضيلة العلم.

أهميَّة البحث: جاءت من أهميَّة فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، إذ أقرَّ لهُ أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، حتَّى إنَّ بني أميَّة اجتهدوا بكلِّ حِيلة لإطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المثالب والمعايب له، ولعنوه على

(١) النجم، آية ٣-٤.
(٢) الأحزاب، آية ٣٣.
(٣) المائدة، آية ٦٧.

المنابر، وتوعَّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديثٍ يُصرِّح بفضائله، لكنَّه كالشمس لا تُحجَب بالرَّاح، والروايات التي نقلها العلَّامةُ الحِلِّيّ هنا من كُتب العامَّة لتأكيد تلك الأحقِّيَّة، والاعتراف بها من الجميع، لاسيما أعلميَّته من بين أقرانه.

أهداف البحث: إنَّ البحث يهدف إلى تسليط الضوء على أحد كتب العلَّامة الحِلِّيّ، وكيفيَّة تناول فضائل الإمام عليّ عليه السلام، وتقديمها للقارئ، وما هي فضيلة العلم التي حَظِيَ بها الإمام؟ وماهي أبرز المحطَّات في شخصيَّته عليه السلام، التي أوضحت تلك الصفة وبرَّزتها؟ وهل هناك اعتراف للصحابة المعروفين بعلم الإمام عليه السلام، والرجوع إليه، والأخذ بأحكامه، برغم تصدِّيهم؟.

حدود البحث: تكوَّن البحث من مقدِّمة وثلاثة محاور وخاتمة حملت خلاصة الموضوع، وأهمّ الاستنتاجات التي أفضت إليها محاور البحث، إذ كان المحور الأوَّل بعنوان (العلَّامة الحِلِّيّ سيرته ونبوغه العلميّ)، على حين دار المحور الثاني حول (كتاب كشف اليقين وفكرته العامَّة)، أمَّا المحور الثالث فتناول(فضيلة العلم لدى الإمام عليّ عليه السلام).

المحور الأوَّل

العلَّامة الحِلِّيّ سيرته ونبوغه العلميّ

هو جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن عليّ بن المطهَّر الحِلِّيّ، المشهور بالعلَّامة، ولِد سنة ٦٤٨هـ، وتوفِّي سنة ٧٢٦هـ[١]، وهو منسوب إلى الحِلَّة السيفيَّة التي بناها الأمير سيف الدولة[٢].

يكنَّى بابن المطهَّر نسبةً إلى جدِّه الأعلى، وهو أوَّل من لقِّب بـ[آية الله] من علماء الإماميَّة، وعُرِف بألقاب أخرى، منها: الفاضل، وجمال الدِّين، وشيخ الطائفة، و(العلَّامة) أشهر ألقابه، كان ينصرف إليه عند الإطلاق، وخُصَّ به حتَّى أصبح علمًا له، أمَّا عن والده، فهو الشيخ الإمام سديد الدين يوسف بن المطهَّر، كان فقيهًا محقِّقًا

(١) محمَّد الخوانساريّ، روضات الجنَّات، إيران، ١٨٦٧، ص١٧٥، ابن كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج١٤، مكتبة المعارف، بيروت، ط٧، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص١٢٥.

(٢) صدقة بن منصور بن دبيس المزيديّ الناشريّ الأسديّ، وشهرته أبو الحسن، من أمراء الديالمة، تولَّى إمرة بني مزيد بعد وفاة أبيه سنة ٤٧٩هـ، فبنى الحِلَّة بين الكوفة وبغداد، وأسكن بها أهله وعساكره سنة ٤٩٥هـ، وكان حازمًا طمَّاحًا إلى التغلُّب والسيادة، موصوفًا بمكارم الأخلاق، ثارت في أيَّامه الفتن بين أبناء ملكشاه السلجوقيّ، فاحتل صدقة الكوفة، واستولى على هيت وواسط ثمَّ البصرة، وانتظم له مُلك بادية العراق، إلى أن زحف عليه السلطان محمَّد بن بركيارق ابن ملكشاه، بجيش فيه خمسون ألف مقاتل، فنشبت بينهما حرب طاحنة، انتهت بمقتل صدقة عند النعمانيَّة عام ٥٠١هـ الموافق ١١٠٨م. ينظر: خير الدين الزركليّ، الأعلام، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥، ص٢٠٣.

مدرِّسًا عظيم الشأن، ينقل ولده العلَّامة أقواله في كتبه[١].

نشأ وتربَّى في كنف أبيه، وأحضر له معلِّمًا خاصًّا يدعى (محرم)، وعهد إليه بتعليمه القرآن والكتابة، فقرأ على ذلك الأستاذ وتعلَّم عنده الكتابة، أمَّا في مجال دراسته وشيوخه، فقد تولَّى تربيته والده، واشترك معه في توجيهه العلميّ خاله الأكبر الشيخ نجم الدين جعفر صاحب كتاب (شرائع الاسلام)، الذي اشتهر بدقَّة النظر، وقوَّة الملاحظة، حتَّى لُقِّب بالمحقِّق[٢].

طوى العلَّامة الحِلِّيّ مراحل الدراسة وهو دون العشرين، وتخرَّج على هذَين في العلوم العربيَّة وعلم الفقه وأصوله والحديث وعلم الكلام، وأتمَّ عندهما سائر العلوم الشرعيَّة، وتتلمذ على عليّ ابن عمِّ والدته الشيخ نجيب الدين يحيى، وعلى الشيخ برهان الدين النسفيّ المصنِّف في الجدل، والشيخ عزّ الدين الفاروقيّ الواسطيّ من فقهاء السنَّة[٣].

ومن شيوخه في العلوم العقليَّة نجم عليّ بن عمر الكاتبيّ القزوينيّ، صاحب كتاب (الشمسيَّة في المنطق)، وكان أعلم أهل عصره بالمنطق والهندسة وآلات الرصد، ومن أهم شيوخه نصير الدين الطوسيّ بشكلٍ خاصٍّ، فقد كانت صلة ابن المطهَّر الحِلِّيّ به وثيقة، وكان يكنُّ له أعمق الاحترام والتقدير، وقد قرأ عليه إلهيَّات الشفاء لابن سينا، حتَّى شرح ابن المطهَّر الحِلِّيّ أهم كتب أستاذه الطوسيّ، وهو (تجريد العقائد)[٤].

(١) روضات الجنَّات، ص١٧٥.
(٢) شهاب الدين العسقلانيّ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، د.م، د.ت، ص٧١، الأعلام، ج٢، ص٢٤٤.
(٣) روضات الجنَّات، ص١٧٢.
(٤) الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، نهج الحقِّ وكشف الصدق، علَّق عليه: الحجَّة الشيخ عين الله الحسنيّ، د.م، بيروت، ١٩٨٢، ص١٠.

استكمل الحِلِّيّ دراسته بالعلوم العقليَّة بعد وفاة أستاذه نصير الدين على يد الشيخ شمس الدين محمَّد بن محمَّد الكشِّيّ الشافعيّ، ثمَّ قرأ على الشيخ متيم بن عليّ بن متيم البحر شيخ الفلاسفة (ت٦٧٩هـ)، وقرأ شرح الكشف على الشيخ نجم الدين عليّ بن عمر القزوينيّ، كما قرأ على الشيخ برهان الدين النسفيّ بعض مصنَّفاته في الجدل[١].

وتتلمذ ابن المطهَّر الحِلِّيّ في العلوم النقليَّة على جمع غفير من علماء عصره، إمَّا قراءةً أو سماعًا أو إجازةً، وهم[٢]:

١. الشيخ المفسِّر عزّ الدين أحمد بن عبد الله الفاروقيّ الواسطيّ (ت٦٤٩هـ)، وكان الشيخ رجلًا صالحًا من علماء السنَّة وفقهائهم.

٢. السيِّد الأجل جمال الدين أحمد بن موسى بن جعفر الطاووسيّ الحسنيّ (ت٦٧٣هـ).

٣. الفقيه الأكبر الشيخ نجم الدين أبو القاسم جعفر بن سعيد الملقَّب بالمحقِّق (ت٦٧٦هـ)، وكان أفضل أهل عصره في العلوم النقليَّة.

٤. الشيخ نجم الدين جعفر بن محمَّد بن جعفر بن نما الحِلِّيّ، صاحب كتاب (مثير الأحزان).

٥. الشيخ جمال الدين الحسين بن أيان النحويّ، وكان أعلم أهل زمانه بالنحو والتصريف، وله تصانيف حسنة في الأدب.

(١) روضات الجنَّات، ص١٧٤، ١٧٦.

(٢) محمَّد عليّ الجنديّ، ابن المطهَّر الحِلِّيّ، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن عليّ (ت٧٢٦هـ) وآراؤه الكلاميَّة، المكتب المصريّ للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١١، ص٢٦.

٦. الشيخ الأجل تقي الدين عبد الله بن جعفر بن عليّ الصبَّاغ الكرخيّ، وكان من فقهاء الحنفيَّة، ورجلًا صالحًا.

٧. الشيخ نجم الدين عليّ بن عمر دبيران القزوينيّ (ت٦٧٥هـ)، وكان من أفضل علماء الشافعيَّة بالحكمة والفلسفة.

٨. السيِّد الأجل غياث الدين عبد الكريم بن طاووس (ت٦٩٣هـ).

٩. الشيخ بهاء الدين عليّ بن عيسى الأربلِّيّ، صاحب كتاب (كشف الغمَّة).

١٠. النقيب السيِّد رضيّ الدين عليّ بن موسى الطاووسيّ الحسنيّ (ت٦٤٤هـ).

١١. الشيخ المفسِّر جمال الدين محمَّد بن سليمان البلخيّ (ت٦٧٢هـ)، صاحب (التفسير الكبير).

١٢. الشيخ الفقيه مفيد الدين محمَّد بن عليّ بن محمَّد بن جهم الحِلِّيّ الأسديّ، وكان فقيهًا عارفًا بالأصولَين، أصول العقائد (علم الكلام)، وأصول الفقه.

١٣. شيخ الفلسفة ببغداد برهان الدين محمَّد بن محمَّد النسفيّ (ت٦٨٧هـ).

١٤. شيخ الحكمة كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ (ت٦٧٩هـ)، صاحب شروح نهج البلاغة.

١٥. الشيخ حسن بن محمَّد الصنعانيّ، مؤلِّف التكملة والصلة لتاج اللغة وصحاح العربيَّة.

كان قدس سره من كبار علماء الشريعة، وأعاظم فقهاء الجعفريَّة، جامعًا لشتَّى العلوم، حاويًا مختلفات الفنون، مكثرًا للتصانيف، ومجودًا فيها، استفادت الأمَّة جمعاء من تصانيفه القيِّمة منذ تأليفها، ومن نظرته الثاقبة طيلة حياته وبعد مماته، له ترجمة ضافية

في كتب التراجم وغيرها، تعرب عن تقدُّمه في العلوم وتضلُّعه فيها، وتنمُّ عن مراتبه السامية في العلم والعمل وقوَّة عارضته في الظهور على الخصم، وذبِّه عن حوزة الشريعة ونصرته للمذهب، إذ لعب دورًا كبيرًا في إحياء المذهب الاثني عشريّ بفضل ذكائه الوقَّاد وعلمه الغزير، وقد أفاده تتلمُذه على الفيلسوف نصير الدين الطوسي في تجلية أصول المذهب على أُسس عقليَّة ونقليَّة[1]؛ لأنَّه كان متعلِّقًا بالفلسفة، مغرمًا بالجدال، وأفضل أهل عصره في العلوم العقليَّة وغيرها من العلوم، حتَّى قرأ عليه العلَّامة الحِلِّيّ (إلهيَّات الشفاء) لابن سينا[2].

تنوَّع النتاج الفكريّ للعلَّامة الحِلِّيّ حتَّى شمل أكثر علوم عصره، فأخرج من كلِّ علم أكثر من مؤلَّف يمتاز عن الآخر، منها مطوَّلات، ومنها موجزات، ومنها شروح على كتب أخرى، ممَّا جعل نتاجه متعدِّدًا، شمل مختلف العلوم، كعلم الفقه، وأصول الفقه، وتفسير القرآن، وعلوم الحديث، وعلم الرجال، وعلوم اللغة والمنطق والفلسفة والكلام، ونتيجةً لذلك التنوُّع في النتاجات، جاء منهج الحِلِّيّ وأسلوبه في البحث العلميّ متنوِّعًا ومتميِّزًا بتنوُّع وتميُّز الموضوعات التي كتب فيها.

غلَّب العلامة الحليّ في علم الفقه أسلوب التَّتبُّع والاستقراء والمقارنة على معظم دراساته الفقهيَّة، سواء من حيث الدَّليل على الحكم والفتوى، أم من حيث نقله للآراء الأخرى، وهذا ما يتجلَّى بوضوح في أكثر أبحاثه الفقهيَّة، إذ إنَّ العلَّامة يصدِّر رأيه وفتواه في المسألة، ثمَّ يتتبَّع فتاوى الآخرين من فقهاء الشيعة، ثمَّ يعرض آراء جملة من فقهاء أهل السنَّة بغية المقارنة وإظهار مدى التَّوافق أو التَّخالف، وفيما يخصُّ الدليل، فإنَّ العلَّامة يبدأ بعرض الدَّليل من القرآن الكريم، بصفته دليلًا مشتركًا ومتوافقًا عليه بين

(١) روضات الجنات، ص١٧٥.

(٢) نهج الحقِّ، ص٢٧.

جميع الفقهاء؛ لأجل إقناع بقيَّة الفقهاء، وبعدها يورد الأدلَّة الخاصَّة بالمذهب، وبذلك يجعل بحثه الفقهيّ عامًا متوافقًا مع جميع الآراء والمذاهب(١).

ويُذكر أنَّ العلَّامة الحِلِّيّ أوَّل من قام بدراسة نقديَّة لعلم الحديث عند الشيعة، إذ كانوا قبله لا يشكُّون في صحَّة الأحاديث التي وصلت إليهم، ولا ينظرون في تفاوت درجاتها، على اعتبار أنَّها وصلت إليهم من الأئمَّة المعصومين(٢). أمَّا منهج العلَّامة الحِلِّيّ في الفلسفة، فهو عقليّ محض؛ لكون مسائلها محض عقليَّة، لذا أكثر من استخدام الأدلَّة والبراهين المنطقيَّة، وكثيرًا ما يلجأ إلى برهان الخلف لإثبات مطلوبه(٣)، وفي علم المنطق، اتَّبع المنهج العلميّ نفسه المتَّبع من قِبَل العلماء السابقين، فكان منهجه فلسفيّ لغويّ تعليميّ(٤).

أصبح من عادة المتكلِّمين أن يفتتحوا مؤلَّفاتهم في العقيدة بمباحث في العلم والمعرفة، عُرِفت بمباحث النظر التي أصبح يتوقَّف عليها فهم كثير من المسائل العقديَّة وإثباتها(٥)، ويعرض ابن المطهَّر الحِلِّيّ بمزيد من التفصيل والتحليل لمسألة (الإدراك) كأصل من أصول العلم، ومصدر من مصادر المعرفة، ثمَّ ينتقل منها إلى معالجة مسألة (النظر)، باعتبار أنَّ النظر الصحيح يستلزم العلم، وهو واجب بالعقل، ومقدَّم على السمع عنده في الاستدلال على وجود الله وصفاته وأفعاله، ثمَّ أبان بعد ذلك في منهجه

(١) الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تقديم: محمود البستاني، ج١، نشر: مجمع البحوث الإسلاميَّة، مشهد، ١٤١٢هـ، ص١٢، ١٤.
(٢) عليّ الشابيّ، الشيعة في إيران، طبعة تونس، ١٩٨٠، ص١٤٧.
(٣) الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين البقَّال، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦، ص٢٠٦.
(٤) هادي فضل الله، مقدِّمات في علم المنطق، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٦م، ص٣٦.
(٥) الشيعة في ايران، ص١٤٩.

مكانة القياس والاجتهاد، وأنَّ العقل والسمع مقدَّمٌ عليهما، ولم يكن هذا العرف عند المتكلِّمين في استهلال مؤلَّفاتهم بمبحث النظر هو فحسب الذي جعله يطرق موضوع العلم والمعرفة، واستخدام الأدلَّة العقليَّة في منهجه للبرهنة على العقائد، ولكن دفعه إلى ذلك بالأخصِّ مقتضيات مناظراته العديدة التي كان يعقدها مع فقهاء المذاهب الفقهيَّة الأُخرى في زمن الملك المغولي أولجايتو خدابنده (٦٧٨هـ/ ١٢٨٠م-٧١٦هـ/ ١٣١٦م) ومن أشهرها مناظرته مع الشيخ نظام الدين عبد الملك المراغيّ، الذي كان من أفضل علماء الشافعيَّة في عصره[١].

ويقسِّم العلَّامة الحِلِّيّ مصادر المعرفة الإنسانيَّة مبتدأً بالحسِّ ومراتبه في الإدراك، وانتهاءً بالعقل، إذ يرفع المعرفة العقليَّة حتَّى يجعلها العلم بمعنى الكلمة، حيث العقل هو مصدر المعرفة بحقائق الأشياء وفي مقدِّمتها معرفة الله عزَّ وجلَّ، والعقل مُقدَّمٌ عنده على النقل، حيث الكتاب والسنَّة يُعرَفان بالعقل[٢].

مثَّلت آراء العلَّامة الحِلِّيّ الكلاميَّة تلخيصًا لأصول الدين عند المذهب الإماميّ الاثني عشريّ، إذ حدَّد العلَّامة الحِلِّيّ مقصوده بعلم الكلام، هو (علم أصول الدين) ومجالاته، وعرَّفهُ بأنَّه العلم الذي يبحث عن وحدانيَّة الله تعالى، وصفاته وعدله، ونبوَّة الأنبياء، والإقرار بما جاء به النبيّ صلَّى الله عليه وآله، وإمامة الأئمَّة عليهم السلام، والمعاد، وفي ذلك يقول: «أجمع العلماء كافَّة على وجوب معرفة الله تعالى وصفاته الثبوتيَّة والسلبيَّة، وما يصحُّ عليه، وما يمتنع عنه النبوَّة والإمامة والمعاد»[٣].

(١) ابن المطهَّر الحِلِّيّ وآراؤه الكلاميَّة، ص٣٩.

(٢) الشيعة في إيران، ص١٥٠.

(٣) الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، النافع يوم الحشر، بشرح المقداد السيوريّ، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م، ص١٧.

شرح حقيقة التوحيد شرحًا يقوم على السلب المطلق لكلِّ ما عسى أن يُلحق الشبه والمثليَّة بالذات الإلهيَّة، وقوله بأنَّ الله لا يُكلِّف العبد ما لا يطيق؛ ذاهبًا في مسألة التوحيد إلى أنَّ الله ليس كمثله شيء، ليس بجسم ولا صورة، ولا تقع عليه الرؤيا في الدنيا والآخرة، ولا تُدركه الأبصار، وهو يُدرك الأبصار، وأنَّه لا جسم ولا صورة، لا يتجزَّأ ولا يتناهَى، ولم يتزايد ولم يتناقص، ومَن زعم أنَّ الله في شيء أو على شيء، فقد وصفه المخلوقين، والله خلق كلَّ شيء، لا يقاس بالقياس ولا يشبَّه بالناس، ومن زعم أنَّ الله تعالى شيء، فقد جعله محدثًا[١].

وأوضح ابن المطهَّر في مسألة العدل أنَّ الله منزَّه عن صفات النقص في أفعاله، كما بيَّن أنَّ أصل العدل يتضمَّن معانٍ عديدة، ففيه تفسير لوجود القبائح مع الإقرار بالعناية الإلهيَّة، وبيان لمسألة الاستطاعة البشريَّة، كما عرض لبعض الأصول المتفرِّعة عن العدل، وبخاصَّة الوعد والوعيد، والأعواض وغيرها[٢].

وفي مسألة النبوَّة، فلا يوجد اختلاف كبير بين ابن المطهَّر وأهل السنَّة، فكلاهما يختتمان سلسلة النبوَّة بمحمَّد صلى الله عليه وآله، ولكنَّهما يختلفان اختلافًا جزئيًّا في مسألة العصمة، فبينما يذهب ابن المطهَّر إلى أنَّ الأنبياء معصومون عن الكبائر والصغائر قبل النبوَّة وبعدها[٣]، ويذهب أهل السنَّة إلى اعتبار أنَّ الأنبياء معصومون عن الكبائر قبل النبوَّة وبعدها، لكنَّهم غير معصومين عن الصغائر سهوًا في بعض الأحيان[٤].

(١) النافع يوم الحشر، ص٥٧، نهج الحق، ص٥٤-٥٥، ٥٧-٥٨.
(٢) عبد الجبَّار القاضي، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم العثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٥، ص٤٨٥، نهج الحق، ص٨٣-٨٤.
(٣) نهج الحق، ص١٣٩، ١٤٢، محمَّد الأنور السنهوتيّ، عقائد الإماميَّة الاثنا عشريَّة وأصولها، القاهرة، د.ت، ص٥٣.
(٤) ابن المطهَّر الحِلِّيّ وآراؤه الكلاميَّة، ص١٣٤-١٣٥.

وأكَّد الحِلِّيّ في مسألة الإمامة على وجوب نصب الإمام على الله تعالى انطلاقًا من مبدأ العدل الإلهيّ، وما يستتبع ذلك على تأكيد أنَّ البشريَّة بحاجة إلى الأئمَّة، ثمَّ بيان للخصال الواجب توفرها في شخصيَّة الإمام، ثمَّ إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وإبراز فضائله التي تفوق فضائل سائر الصحابة، والتي كان بها عليًّا أحقّ الناس بمقام الرسول صلى الله عليه وآله، وردَّ في ذلك على أهل السنَّة الذين يفضِّلون أبا بكر وعمر على عليّ عليه السلام، إذ تختلف آراء الاثني عشريَّة عن أهل السنَّة والجماعة في مفهوم الإمامة اختلافًا كبيرًا؛ فقد ذهب ابن المطهَّر إلى أنَّ الإمامة هي جوهرة العقيدة الشيعيَّة، وأوجب نصب الإمام سمعًا وعقلًا في حين قصره الأشاعرة على الوجوب السمعي[1]، وأكَّد ابن المطهَّر ضرورة موالاة الإمام من حيث كونه مصدر التشريع بعد القرآن والسنَّة المؤكَّدة عن طريق أهل البيت عليهم السلام، فلا يقبل ابن المطهَّر إسناد إلَّا عن طريقهم، فالإمام وارث العلم النبويّ، وعلى اتِّصالٍ دائمٍ بالعلم الإلهيّ، والإمامة تسير في انتقالها من الإمام عليّ عليه السلام إلى خلفائه من الأئمَّة طبقًا لخطٍّ ثابتٍ، فهي تنتقل كما خطَّ الله في اللوح، لا تغيير ولا تبديل في علمه، وهكذا كانت الإمامة عند العلَّامة الحِلِّيّ نصًّا لا تعيينًا، ولا تُترَك لنزعات البشر وأهوائهم فيها، وإلَّا فسد أمر الشيعة، وقد آمن كسائر الشيعة الإماميَّة بغيبة الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف[2].

أمَّا في مسألة المعاد، فقد اثبته كضرورة من أجل الجزاء، وان الحشر يكون للأبدان كما أخبر القرآن والسنَّة بذلك، ثمَّ أعقب ذلك بالحديث عن الثواب والعقاب والشفاعة والتوبة، مخالفًا آراء الفلاسفة والمعتزلة والزيديَّة في معظم جوانب هذه المسألة[3].

(١) ابن المطهَّر الحِلِّيّ وآراؤه الكلاميَّة، ص١١٠-١١١.

(٢) الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، الألفين في إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، بيروت، ١٤٠٢هـ، ص٢٣، النافع يوم الحشر، ص٩٦، ٩٨.

(٣) النافع يوم الحشر، ص١١٩، ابن المطهَّر الحِلِّيّ واراؤه الكلاميَّة، ص١٠٩.

المحور الثاني

كتاب كشف اليقين وفكرته العامَّة

يعدُّ كتاب (كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام) من كتب العلَّامة الحسن ابن يوسف بن المطهَّر الحِلِّيّ المصنَّفة ضمن علم الكلام، ويُعبَّر عن الكتاب أيضًا باسم (كتاب اليقين) كمختصر له، إذ مثَّل هذا الكتاب واحدًا من أهمِّ المصادر الإسلاميَّة المعتمَدة لدى الكثير من الباحثين الإسلاميِّين، سواء من الموالين أو المخالفين، وقد أودع فيهِ العلَّامة الحِلِّيّ فضائل الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام من مصادر العامَّة ورواياتهم؛ حتَّى يُبيِّن فضائله المنسوبة إلى غيره، ويردُّ الشبهات التي تحوم حول أحقيَّته بالإمامة وخلافته لرسول الله صلى الله عليه وآله، لذا فإنَّ موضوعات هذا الكتاب نُقِلت من كتب المخالفين، باستثناء روايات معدودات، منها مسند أحمد، والمناقب للخوارزميّ، والخصائص للطبريّ، واليواقيت وأسباب النزول للواقديّ، والمناقب للمغازليّ، وغيرها.

وكما هو معروف، أنَّ الإمامة أصل من أصول الدين؛ لذا عُقِدت فصول كثيرة ومستفيضة عن الإمامة في الكتب الشيعية؛ لأنَّ ظاهرة الوحي لا يمكن أن تنقطع بعد وفاة الرسول، وأنَّ خليفته مسؤول عن تصريف شؤون الأمَّة، وأنَّ الإمامة ليست إلَّا استمرار للنبوَّة، مادام الأئمَّة الاثنا عشر هم ورثة لعلم النبوَّة بمفهومه الواسع، أي علم الرُّسل والأنبياء السابقين، وهم بذلك يعرفون ما كان وما يكون في الحال والاستقبال،

وعلمهم الغيبيّ هو أشبه بالوحي[1].

والأئمَّة مصدر التشريع بعد القرآن والسنَّة المؤكَّدة عن طريق آل البيت، لذا فهم الحافظون للدين والمشرِّعون، فالإمامة منصب إلهيّ لا دخل للبشر فيها، يقول ابن المطهَّر: «إنَّ الله أردف الرسالة بعد موت الرسول بالإمامة، فنصَّب أولياء معصومين؛ ليأمن الناس من غلطهم وسهوهم وخطأهم، فينقادون إلى أوامرهم، لئلَّا يُخلي الله تعالى العالم من لطفه ورحمته»[2].

وقال في موردٍ آخر: «إنَّ الإمامة رئاسة عامَّة في أمور الدين والدنيا لشخص من الأشخاص، نيابةً عن النبيّ صلى الله عليه وآله، وهي واجبة عقلًا؛ لأنَّ الإمامة لطف، فالناس إذا كان لهم رئيس مرشد مُطاع، ينتصف للمظلوم من الظالم، ويدعّ الظالم عند ظلمه، كانوا إلى الصلاح أقرب، ومن الفساد أبعد»[3]، ودليل ابن المطهَّر على أنَّ الإمامة واجبة، هي أنَّها لطف، وكلُّ لطف واجب على الله، فالإمامة بذلك تكون واجبة على الله تعالى[4].

ولكي تكون الإمامة لطفًا عند ابن المطهَّر، لا بدَّ من أن تتمَّ لها أمور، منها: خلق الإمام وتمكينه بالقدرة والعلوم، والنصّ عليه باسمه ونسبه، وهذا واجب على الله، وقد فعله، ثمَّ تحمُّل الإمامة وقبولها، وهذا يجب على الإمام، وقد فعله، ثمَّ النصرة والذبّ

(١) الحسن بن يوسف الحِلِّيّ، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج١، مؤسَّسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلاميَّة، مشهد، ١٣٧٩ش، ص٨٧.

(٢) سعد بن عبد الله القمِّيّ، المقالات والفرق، تصحيح محمَّد جواد مشكور، مركز انتشارات علمي وفرهنكي، طهران، ١٩٦٣، ص٩٧.

(٣) النافع يوم الحشر، ص٤٤.

(٤) عبد الهادي الفضيلي، خلاصة علم الكلام، دار المؤرِّخ العربي، ط٢، بيروت، ١٩٩٣، ص٢٨٥-٢٨٦

عنه، والامتثال لأوامره، وقبول قوله، وهذا يجب على الرعيَّة، فعدم التمكين قصور من ناحية الأمَّة، لا من ناحية الله تعالى، ولا من ناحية الإمام[1].

وبذلك تمتَّع الإمام عليّ عليه السلام بفضائل كثيرة وعظيمة، حتَّى قال ابن أبي الحديد: «ما أقول في رجل أقرَّ له أعداؤه وخصومه بالفضل، ولم يمكِّنهم جحد مناقبه، ولا كتمان فضائله، فقد علمت أنَّه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، واجتهدوا بكلِّ حيلة في إطفاء نوره، والتحريض عليه، ووضع المعايب والمثالب له، ولعنوه على جميع المنابر، وتوعَّدوا مادحيه، بل حبسوهم وقتلوهم، ومنعوا من رواية حديث يتضمَّن لهُ فضيلة، أو يرفع لهُ ذِكرًا، حتَّى حظروا أن يسمَّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلَّا رفعةً وسموًّا، وكان كالمسك، كلَّما سُتِر انتشر عطره، وكلَّما كُتِم تضوَّع نشره، وكالشمس لا تستر بالراح، وكضوء النهار إن حُجب عن عين واحدة، أدركته عيون كثيرة»[2].

كان موقف الشيعة الإماميَّة من كلِّ ذلك هو موقف الدفاع وصدِّ الهجمات، وتشييد أمر إمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، ونشر فضائله ومناقبه الباهرة؛ فظهرت الكتب القيِّمة من جهابذة الشيعة، يردُّون فيها على المهاجمين، ويعرضون للروايات الصحيحة، ويستنتجون إمامة آل الرسول صلى الله عليه وآله، وبها يدافعون عن حقِّهم وكيان مدرستهم، ومنهم العلَّامة الحِلِّيّ في كتابه هذا المسمَّى (كشف اليقين)، الذي يعدُّ من آثاره الرائعة، إذ رتَّب فيه الأحاديث على فصول بديعة حوت أهمَّ الفضائل وأبرزها.

(١) الألفين في أمامة أمير المؤمنين، ص٢٣.

(٢) ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد إبراهيم، مج١، دار الكتاب العربيّ، ط١، بغداد، ٢٠٠٧، ص١١.

اشتمل الكتاب على مقدِّمة وأربعة فصول، يتحدَّث في الفصلَين الأوَّل والثاني بشكلٍ موجزٍ عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام قبل الولادة وفي أثنائها، واختصَّ الفصل الثالث بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام في أثناء فترة النضج والبلوغ، على حين بيَّن الفصل الرابع فضائل أمير المؤمنين عليه السلام بعد شهادته.

مثَّلت فضائل الإمام عليّ عليه السلام جزءًا من الأدلَّة على إمامته، فأوضح ابن المطهَّر أنَّ الإمام عليه السلام كان أعبد الناس وأزهدهم وأعلمهم بكتاب الله وسنَّة رسوله، وذكر شجاعته وأخباره ومشاركته النبيّ في الحروب والغزوات، وكذلك معجزاته، وصنَّف تلك الفضائل: إمَّا أن تكون ثابتة، أو نفسانيَّة أو بدنيَّة أو خارجيَّة، وإمَّا أن تكون متعلِّقة بالشخص نفسه أو بغيره، وأمير المؤمنين جمع الكلّ[1].

رتَّب العلَّامة الحِلِّيّ الفضائل الثابتة التي تمتَّع بها الإمام عليه السلام إلى فضائل ثابتة له قبل وجوده وولادته، ومن أبرزها الوعد الذي ورد في التوراة لإبراهيم الخليل عليه السلام بعد أن دعا ربَّه لابنه إسماعيل، فوعده الله بأن يولد له اثنا عشر شريفًا، ولا شكَّ في أنَّ الإمام عليّ أحدهم، والفضيلة الأخرى الواردة عن لسان الرسول أنَّ الله تعالى أوحى له بأنَّ الرسل من قبله قد بُعثوا على ولايته وولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وأنَّ اسم عليّ مكتوبٌ على العرش، إذ نظر له آدم فرأى مكتوب على اللوح (لا إله إلَّا الله، محمَّد نبيُّ الرحمة، عليّ مقيم الحجَّة، ومن عرف حقَّ عليّ زكى وطاب..)، ومكتوب على باب الجنَّة (عليّ أخو رسول الله)، قبل أن يخلق السماوات والأرض بألفي عام، وفضائل أخرى في حال خلقه وولادته، والثالثة هي الفضائل الثابتة له حال كماله وبلوغه[2]. أمَّا الفضائل النفسيَّة والبدنيَّة، فقد أدرجها الحِلِّيّ تحت عنوان الفضائل المكتسبة من الفعل والأثر،

(١) ابن المطهَّر الحِلِّيّ وآراؤه الكلامية، ص٩٨.

(٢) كشف اليقين، ص١-٢٣.

فشملت فضائل الإمام النفسيَّة (الإيمان، والعلم، والإخبار بالغيب، والشجاعة، والزُّهد، والسَّخاء والكرم، والورع والدين واستجابة الدعاء، وحسن الخلق). أمَّا فضائله البدنيَّة، فتتمثَّل بـ(العبادة، والجهاد، وسبقه إلى التصديق، وحمل براءة إلى مكَّة، وجمعه بين الفضائل المتضادَّات، والكلام)[1].

وتمثَّلت الفضائل الحاصلة للإمام عليه السلام من الخارج، بنسبه، وزواجه من فاطمة الزَّهراء عليها السلام، ومؤاخاة النبيّ له، والمباهلة، وملازمة الحقِّ والقرآن لهُ، ووجوب محبَّته ومودَّته، وأنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله هو مولى من هو مولاه، ونصّ النبيّ على عليّ عليه السلام بالخلافة بعده، وغيرها الكثير من الفضائل التي أدرجها ضمن سبعة وثلاثين مبحثًا.

(١) كشف اليقين، ص٢٣-١٩٠.

المحور الثالث

فضيلة العلم لدى الإمام عليّ عليه السلام

تندرج فضيلة العلم ضمن الفضائل النفسيَّة، وقد أوضح ابن المطهَّر في هذه الجزئيَّة أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام أعلم الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وقد أجمع الناس كافَّة على أنَّه أعلم أهل زمانه، ومنه استفاد الناس جميع العلوم العقليَّة والنقليَّة، ودلَّل على ذلك بوجوه عدَّة، يمكن تلخيصها ضمن عناوين لتسهيل توضيحها وفهمها، وهي كالآتي:

الوجه الأوَّل: الذكاء والفطنة وشدَّة الحرص على التعلُّم

امتاز الإمام عليّ عليه السلام بالذكاء والفطنة وشدَّة الحرص على التعلُّم، ممَّا جعله عظيم الملازمة لرسول الله ليلًا ونهارًا، من صغر سنِّه إلى حين مفارقته، فأصبح أكمل البشر علمًا وفضلًا، ومن المعلوم أنَّ مثل هذا التلميذ الملازم هذه الملازمة لهذا المعلم الكامل، مع شدَّة حرص المعلِّم على التعليم، وحرص المتعلِّم على التعلُّم، فإنَّ التلميذ في غاية الكمال ونهاية الفضل والعلم، وهذا برهان قطعيّ لا خلاف فيه.

الوجه الثاني: الوعي

مثَّل الإمام عليّ عليه السلام الأذن الواعية لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأنَّ الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[1] نزلت في حقِّه، وقد أكَّد ابن المطهَّر ذلك باعتماده على الرواية التاريخيَّة التي نقلها من كتب التفاسير، إذ نقل رواية الثعلبيّ الذي قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله **سألت الله** عز وجل

(١) الحاقَّة: ١٢.

أذنك يا عليّ»[1]، ورواية أبو نعيم الشافعيّ، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**يا عليّ إنَّ الله عزّ وجلّ أمرني أن أدنيك وأعلّمك، فأنزلت هذه الآية ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾، فأنت أذن واعية لعلمي**»[2].

الوجه الثالث: القضاء

أثبت ابن المطهَّر الحِلِّيّ أعلميَّة الإمام عليّ عليه السلام في القضاء، معتمدًا بذلك حديث رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أقضاكم عليّ**»[3]، والقضاء يستلزم العلم والدين، فإذا كان أقضى من غيره، وجب أن يكون أعلم منهُ، ثمَّ تناول ابن المطهَّر بعد هذا الحديث رواية البيهقيّ التي رواها عن الإمام عليّ عليه السلام قال: «**بعثني رسول الله إلى اليمن فقلت: بعثتني وأنا شاب أقضي بينهم، ولا أدري ما القضاء، فضرب في صدري وقال: اللهمَّ أهدي قلبه وثبِّت لسانه. قال: فوالذي فلق الحبَّة ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين**»[4]. ثمَّ ينتقل ابن المطهَّر إلى كتب اخرى لإثبات ذلك، فينقل لنا رواية النسائيّ[5]، وأحمد بن

(١) أحمد بن محمَّد الثعلبيّ (ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القران، دراسة وتحقيق أبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق نظير الساعديّ، ج١٠، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م، ص٢٨.

(٢) أبو نعيم الأصفهانيّ (ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٦٧.

(٣) ابن الصبَّاغ، عليّ بن محمَّد بن أحمد المالكيّ المكّيّ، الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، ج١، تحقيق وتعليق: سامي الغريري، دار الحديث، قم، ١٣٧٣ش، ص١٩٥، حلية الأولياء، ج١، ص٦٥-٦٦.

(٤) ليس في سنن البيهقيّ حديثًا بهذا النصّ، ولكن يوجد في ص٨٦ ثلاثة أحاديث بهذا المعنى.

(٥) أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائيّ (ت٣٠٣هـ)، خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، تحقيق: أحمد ميرين البلوشيّ، مكتبة المعلا، الكويت، ط١، ١٩٨٦م، ص٥٧.

حنبل[1] وكلاهما يؤيِّدان ما ذكره البيهقيّ، سوى اختلاف يسير في بعض الكلمات.

الوجه الرابع: رواية سلمان الفارسيّ حديث الرسول الأكرم عن أعلميَّة الإمام عليّ

روى سلمان الفارسيّ حديثًا لرسول الله صلى الله عليه وآله، وردَ فيه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أعلم أمَّتي بعدي عليّ بن أبي طالب**»[2]، فعندما نتوقَّف عند هذه الرواية، نجدها على جانب كبير من الأهميَّة، لكون ابن المطهَّر نقلها من مناقب الخوارزميّ، إضافة إلى أنَّها تحمل حديثًا صريحا للرسول على لسان سلمان المحمَّديّ ذي المنزلة الكبيرة لديه، وبذلك تتجلَّى أعلميَّة الإمام عليّ عليه السلام بأبهى صورة.

الوجه الخامس: الحكمة

إنَّ الحكمة وتجلِّياتها لدى شخص ما، دليلٌ على علمه وفضله، والمعروف لدينا من التأكيد القرآنيّ، أنَّ من أوتي الحكمة فقد أُوتي خيرًا كثيرًا، لذا نجد ابن المطهَّر الحِلِّيّ يستعرض الرواية الدالَّة على هذا الجانب، قائلًا: «روى أخطب خوارزم عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **قُسِّمت الحكمة على عشرة أجزاء، فأُعطي عليّ بن أبي طالب منها تسعة، والناس جزءًا واحدًا**»[3]، وبذلك يتَّضح لنا أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام أكثر الناس حكمة بتسعة أضعاف ما عندهم، والحكمة معزِّزة لفضيلة العلم.

(١) أحمد بن حنبل، المسند، ج١، شرح: أحمد محمَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م، ص٨٣، ص١٣٦، ص١٤٩.

(٢) الموفق بن أحمد بن محمَّد المكِّيّ الخوارزميّ (ت٥٦٨هـ)، المناقب، تحقيق: مالك المحموديّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١١هـ، ص٨٢.

(٣) المناقب، ص٨٢.

الوجه السادس: عليّ عليه السلام باب مدينة علم الرسول الأكرم

أخذ ابن المطهَّر الحِلِّيّ أربع روايات من كتب مختلفة؛ لتأكيد حديث الرسول صلى الله عليه وآله الدال على أنَّ عليًّا عليه السلام هو مدينة العلم، مبتدأً برواية الترمذيّ الذي ذكر في صحيحه أنَّ رسول الله قال: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها**»(١). ثمَّ أضاف رواية البغويّ في الصِّحاح أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: «**أنا دار الحكمة وعليّ بابها**»(٢).

ونقل بعد ذلك عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِ الباب**»(٣). ثمَّ ينتقل بعد ذلك إلى رواية الخوارزميّ(٤) الذي روى عن ابن عبَّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**أنا مدينة الحكمة وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتِ الباب**».

وإنَّ الحِلِّيّ بنقله لهذه الروايات المؤكِّدة صحَّة الحديث، أثبت أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام هو أعلم الناس بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

---

(١) في المصدر (دار الحكمة) بدلاً من (مدينة العلم). محمَّد بن عيسى الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ج٥، باب ٨٧، ط٢، ١٩٨٣م، ص٣٠١، محمَّد بن عيسى الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ الجامع الكبير، مج٥، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنيَّة المعلومات، دار التأصيل، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م، ص٢٥٥.

(٢) لم نعثر على الصِّحاح للبغويّ، ولكن يوجد عند الأصفهانيّ، حلية الأولياء، ج١، ص٦٤.

(٣) شهاب الدين أحمد بن حجر المكِّيّ الهيتميّ (ت٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البدع والزندقة، مراجعة: أبو عبد الله مصطفى بن العدويّ، تحقيق: عادل شوشة، مكتبة فيَّاض، مصر، ط١، ٢٠٠٨، ص٣٦٤.

(٤) نصُّ الحديث في كتاب الخطيب البغداديّ (ت٤٣٦هـ)، تاريخ بغداد، ج١١، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة، بيروت، لبنان، د.ت، ص٢٠٤، وأمَّا في مناقب الخوارزميّ، ج٢، ص٨٣، جاء بصيغة: «**أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِ الباب**».

الوجه السابع: عليّ عليه السلام وراث الأنبياء

حمل جميع الأنبياء فضيلة العلم والصفات والفضائل الحميدة الأخرى، وهنا أراد العلَّامة الحِلِّيّ أن يبيِّن مكانة الإمام عليّ عليه السلام، وكيف تورَّث تلك الفضائل من الأنبياء، ومن الرواية التاريخيَّة التي نقلت الأحاديث النبويَّة الشريفة الدالَّة على ذلك، بيَّن لنا أنَّ البغويّ روى في الصِّحاح[1] عن أبي الحمراء، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في فهمه، وإلى يحيى بن زكريَّا في زهده، وإلى موسى بن عمران في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب**»[2]. ثمَّ نقل هذا الحديث برواية البيهقيّ، الذي روى في إسناده عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّه قال: «**من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر عليّ بن أبي طالب**»[3].

ينتقل العلَّامة الحِلِّيّ بعد ذلك إلى كتاب المناقب للخوارزميّ، الذي نقل عن (الحارث الأعور صاحب راية عليّ بن أبي طالب) قال: «بلغنا أنَّ النبيّ كان في جمع من أصحابه فقال: **أريكم آدم في علمه، ونوحًا في فهمه، وإبراهيم في حكمته**. فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فقال أبو بكر: يا رسول الله أقستَ رجلًا

(١) لم يتم العثور على نسخه منه، ولكن الحديث يوجد في مصادر أخرى أوردناها في الهامش التالي.

(٢) محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: عليّ محمَّد البجاوي، ج٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت، ص٩٩، ويوجد هذا الحديث في مناقب ابن مغازلي بصيغة أخرى: «**من أراد أن ينظر إلى علم آدم، وفقه نوح فلينظر إلى عليّ ابن أبي طالب**» عليّ بن محمَّد الواسطيّ ابن المغازليّ (ت٤٨٣هـ)، مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب، تحقيق وتعليق: أبي عبد الرحمن تركي بن عبد الله، دار الآثار، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣، ص٢٨١.

(٣) في فضائل الصحابة للبيهقيّ، كما أشار اليه في إحقاق الحقّ ٤/ ٣٩٤، ج٣.

بثلاثة من الرسل؟ بخٍ بخٍ لهذا الرجل، مَن هو يا رسول الله؟ قال النبيّ: **ألا تعرفه يا أبا بكر؟** قال: الله ورسوله اعلم. قال النبيّ: **هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب**. فقال أبو بكر: بخٍ بخٍ لك يا أبا الحسن وأين مثلك؟»[١].

ويبقى الحِلّيّ في المصدر نفسه، وينقل منهُ عن عليّ عليه السلام أنَّه قال: «**والله ما نزلت آية إلّا وعلمت فيم أُنزلت، وأين نزلت، وأنَّ ربّي وهب لي قلبًا عقولًا، ولسانًا سؤولًا**»[٢]. ثمَّ ينتقل إلى رواية أخرى من المصدر نفسه أيضًا، وهي عن أبي عبد الرحمن السلميّ قال: «والله ما رأيت قرشيًا أقرأ لكتاب الله عزّ وجلّ من عليّ»[٣]، ورواية أخرى عن أبي البختريّ قال: «رأيتُ عليًّا صعد المنبر بالكوفة وعليه مدرعة لرسول الله، متقلِّدًا بسيف رسول الله، معتمًّا بعمامة رسول الله، وفي إصبعه خاتم رسول الله.. فصعد على المنبر وكشف عن بطنه، فقال: **سلوني قبل أن تفقدوني، فإنَّما بين الجوانح منّي علمٌ جمٌّ، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله، هذا ما زقّني رسول الله زقًّا من غير وحي أوحي إليَّ، فو الله لو ثنيت لي الوسادة فجلست عليها؛ لأفتيت لأهل التوراة بتوراتهم، ولأهل الإنجيل بإنجيلهم، ولأهل الزبور بزبورهم حتّى يُنطِق الله التوراة والإنجيل والزبور، فيقول: صدق عليّ، قد أفتاكم بما أنزل الله في وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون**»[٤].

عزَّز العلامة الحِلّيّ تلك الأحاديث الواردة بحقِّ الإمام عليّ عليه السلام، وأنَّه وارث علم الأنبياء، بما ورد عنه عليه السلام في نهج البلاغة، إذ ذكر أنَّه عليه السلام قال يومًا: «**أيُّها الناس سلوني قبل**

(١) المناقب، ج٢، ص٨٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٠.
(٣) لم نعثر عليه في مناقب الخوارزميّ، ولكن يوجد عند: ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، ج٤٢، د.م، ١٤١٥هـ، ص٤٠٢.
(٤) المناقب، ج٢، ص٩١.

أن تفقدوني، فلأنا بطرق السماء أعلم منِّي بطرق الأرض»[1].

ونقل من مسند أحمد بن حنبل أنَّ النبيّ ﷺ قال لفاطمة: «**أوَما ترضين أنِّي زوَّجتك أقدم أُمَّتي سلمًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حلمًا**»[2]. وروي عن ابن عبَّاس أنَّه قال: «لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، وأيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر»[3]، وعن عائشة قالت: «عليّ أعلم الناس بالسنَّة»[4]. ثمَّ ينتقل العلَّامة الحِلِّي إلى مناقب أبي المؤيد الذي روى عن ابن عبَّاس أنَّه قال: خطب بنا عمر فقال: «عليّ أقضانا..»[5].

الوجه الثامن: عليّ عليه السلام واضع مبادئ العلوم وممهِّد قواعد الدين ومُبيِّن أحكام الشريعة

أورد العلَّامة الحِلِّيّ في هذا الجانب معلومات من كتب العامَّة أفادت أنَّ مبادئ العلوم مسنده إلى الإمام عليّ عليه السلام، وهو مَن مهَّد قواعد الدين، وبيَّن أحكام الشريعة، وقرَّر مطالب العلوم العقليَّة والنقليَّة، أمَّا علوم الفقه، فالفقهاء كلُّهم يرجعون فيها إليهِ؛ مُبرهنًا ذلك بذِكر العلوم، وكيف أنَّ المذاهب والفرق الإسلاميَّة أخذت تلك العلوم منهُ عليه السلام[6].

(١) شرح نهج البلاغة، ج٢، ص٢٤٥.

(٢) المسند، ج٥، ص٢٦، ووجدناه في كتاب الاستيعاب: «**زوَّجتكِ سيِّدًا في الدنيا والآخرة، وأنَّه أوَّل أصحابي إسلامًا، وأكثرهم علمًا، وأعظمهم حلمًا**». يوسف بن عبد الله القرطبيّ النمريّ (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تصحيح وإخراج: عادل مرشد، دار الأعلام، ط١، ٢٠٠٢، ص٥٢٧.

(٣) المصدر نفسه، ص٥٣٠.

(٤) المصدر نفسه، ص٥٣٠

(٥) المناقب، ج٢، ص٩٢.

(٦) كشف اليقين، ص٥٧.

فيما يخصُّ الإماميَّة، فانَّ انتسابهم إليه معلوم، ومنهُ أخذوا علومهم، وأحكامهم كلُّها مستنده إليه وإلى أولاده المعصومين عليهم السلام، وأمَّا الحنفيَّة، فإنَّ أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ومحمَّد وزفر، قد أخذوا عن أبي حنيفة، وهو تلميذ الإمام الصادق عليه السلام، والصادق تلميذ الباقر عليه السلام، والباقر تلميذ الإمام السجَّاد عليه السلام، والسجَّاد قرأ على الحسين عليه السلام، والحسين قرأ على أبيه أمير المؤمنين عليه السلام، وأمَّا الشافعيَّة، فأخذوا عن الشافعيّ، الذي قرأ على محمَّد بن الحسن تلميذ أبي حنيفة، وعلى مالك، فرجع فقهه إليهما، والحنابلة فإنَّ أحمد بن حنبل قرأ على الشافعيّ، فرجع فقهه اليه، وأمَّا المالكيَّة فيرجعون إلى مالك الذي قرأ على ربيعة، وربيعة قرأ على عكرمة، وقرأ عكرمة على عبد الله بن عبَّاس، والأخير تلميذ الإمام عليّ عليه السلام، وأمَّا الخوارج، فأكابرهم ورؤسائهم تلامذةً لهُ[1].

وأوضح العلَّامة الحِلِّيّ بقيَّة العلوم، كعلم النحو، إذ إنَّ الإمام عليه السلام هو واضعه عندما «قال لأبي الأسود الدؤلي: **الكلام كلُّه ثلاثة أشياء (اسم وفعل وحرف)**، وبيَّن له وجوه الإعراب، أمَّا علم التفسير، فإنَّه مستند إليه؛ لأنَّ ابن عباس كان تلميذ الإمام عليه السلام فيه، حتَّى قال: حدَّثني أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير (الباء) من (بسم الله الرحمن الرحيم) من أوَّل الليل إلى آخره»[2].

وكان الإمام عليّ عليه السلام هو المقرِّر لقواعد علم الكلام، وأوضح براهينه، واستفاد الناس كافَّة من خطبه، ومرجعهم كلُّهم اليه، فإنَّ القيِّم بعلم الكلام أربعة: (المعتزلة والاشاعرة والشيعة والخوارج)، أمَّا الشيعة فانتسابهم إليه معلوم، وكذلك الخوارج، فإنَّ فضلائهم رجعوا إليه وأخذوا العلم عنه، وأمَّا المعتزلة فانتسبوا إلى واصل بن عطاء، وهو تلميذهم، وكان تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمَّد بن الحنفيَّة، وأبو هاشم

(١) كشف اليقين، ص٥٨-٥٩.
(٢) المصدر نفسه، ص٥٩.

تلميذ أبيه، وأبوه تلميذ والده عليّ بن أبي طالب عليه السلام، على حين كان الأشاعرة تلامذة الأشعريّ، وهو تلميذ أبي عليّ الجبائيّ، وهومن مشايخ المعتزلة[1].

وأمَّا علم الطريقة، فإنَّ جميع الصوفيَّة يسندون لحوقه إليه، وأصحاب الفتوة يرجعون إليه؛ لأنَّ جبريل عليه السلام نزل يوم أحد من السماء، وهو يقول: «**لا سيف إلَّا ذو الفقار، ولا فتى إلَّا عليّ**»[2]، وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم فرحًا مسرورًا، وقال: «**أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى**»[3]، أمَّا أنَّه الفتى؛ فلأنَّه سيِّد العرب، وأمَّا ابن الفتى؛ فلأنَّه ابن ابراهيم الخليل، خليل الرحمن الذي نزل في حقِّه ﴿فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ﴾[4]، وأمَّا أنَّه أخو الفتى؛ فلأنَّه أخو عليّ عليه السلام الذي قال عنه جبرائيل: **لا فتى إلَّا عليّ**[5].

وكان الإمام عليه السلام منبع علم الفصاحة وأصله، إذ بلغ فيه الغاية وتجاوز النهاية حتَّى قيل في كلامه بأنَّه «فوق كلام المخلوق، ودون كلام الخالق، وكلُّ الخطباء تعلموا منه»[6].

الوجه التاسع: عليّ عليه السلام مرجع الصحابة في الأحكام والفتاوى وحلِّ المشكلات

رجع جميع الصحابة إليه في الأحكام، وتعلموا منه الفتاوى، ولجؤوا إليه في حلِّ

(١) كشف اليقين، ص٥٩.

(٢) ابن المغازلي، مناقب، ص٢٥٩، أبي عبد الله محمَّد بن يوسف بن محمَّد القرشيّ الكنجيّ الشافعيّ (ت٦٥٨هـ)، كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مطبعة الغريّ، النجف، ١٩٣٧م، ص١٤٤، محبّ الدين أبي العبَّاس أحمد بن عبد الله الطبريّ المكِّيّ (ت٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق وتعليق: أكرم البوشي ومحمود الأرناؤوط، ط١، دمشق، ١٤١٥هـ، ص١٣٧.

(٣) كشف اليقين، ص٦٠.

(٤) الأنبياء: ٦٠.

(٥) كشف اليقين، ص٦٠.

(٦) شرح نهج البلاغة ج١، ص٢٤.

المشكلات، حتَّى أنَّه عليه السلام ردَّ قضاء عمر بن الخطَّاب مسائل كثيرة، من أبرزها: «أنَّ عمر أمر برجم امرأة حامل كانت قد زنت، فنهاه عليه السلام، وقال له: **إن كان لك عليها سبيل، فليس لك على ما في بطنها سبيل، أمهلها إلى أن تضع وترضع**. فامتثل عمر وقال: لولا عليّ لهلك عمر»[١].

وأُتي لعمر بامرأة كانت قد وضعت لستَّة أشهر، فأمر برجمها، فنهاه عليّ عليه السلام عن ذلك، فسأله السبب، فقال عليّ عليه السلام: **الله تعالى يقول**: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾[٢]، ثم قال: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾[٣]، فبقي مدَّة الحمل ستَّة أشهر، فخلَّى عمر عنها، وقال: «لولا عليّ لهلَكَ عمر»[٤]. «وجاؤوا لعمر بامرأة مجنونة حبلى قد زنت، فأمر برجمها، فقال له عليّ عليه السلام: **أما سمعت ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله**؟ قال عمر: وما قال؟ قال عليّ عليه السلام: **قد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رُفِع القلم عن ثلاثة: عن المجنون حتَّى يبرأ، وعن الغلام حتَّى يُدرِك، وعن النائم حتَّى يستيقظ**»، فخلَّى عنها، وقال: لولا عليّ لهلك عمر»[٥].

وخطب عمر بن الخطَّاب يومًا، فقال: «مَن غالى في مهر ابنته فقد جعلته في بيت المال، فقامت امرأة إليه وقالت: كيف تمنعنا ما منحنا الله تعالى به في كتابه، في قوله تعالى: ﴿..وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا۟ مِنْهُ شَيْـًٔا..﴾[٦]، فقال: كلُّ الناس أفقه من عمر، حتَّى المخدَّرات في البيوت»[٧].

(١) ذخائر العقبى، ص١٤٦.
(٢) الأحقاف: ١٥.
(٣) البقرة: ٢٣٣.
(٤) المناقب، ص٩٥.
(٥) ذخائر العقبى، ص١٤٨.
(٦) النساء: ٢٠.
(٧) الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١٠، المطبعة البهيَّة المصرية، ط١، مصر، ١٩٣٨م، ص١٣،=

«وأُتي عمر أيضًا بامرأة نُسب إليها الزِّنا، فأمر برجمها، فلقيها عليّ عليه السلام فقال: **ما بال هذه؟** فقالوا: أُمر بها أن تُرجم، فردَّها عليّ عليه السلام، وقال له: **أمرتَ برجمها؟** فقال عمر: نعم؛ لأنَّها اعترفت عندي بالفجور، فقال عليّ عليه السلام: **فلعلَّك نهرتها أو أخفتها أو تهدَّدتها؟** فقال عمر: نعم قد كان ذلك. فقال علي عليه السلام: **أوَ ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا حدَّ على مُعترِف بعد بلاء؟» أنَّه من قيِّدت أو حبست أو تهدَّدت؛ فلا إقرار له.** فخلَّى عمر سبيلها، ثمَّ قال: عجزت النساء أن تلد مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لولا عليّ لهلك عمر»[1].

وتطرَّق ابن المطهَّر إلى خطبة أخرى لعمر بن الخطَّاب من مناقب ابن المؤيَّد، إذ يقول: «إنَّ عمر خطب الناس، فقال: لو صرفناكم عمَّا تعرفون إلى ما تنكرون، ما كنتم صانعين؟ فسكتوا. حتَّى قال ذلك ثلاثًا، فقال له عليّ عليه السلام: **إذا كنا نستتيبك، فإن تُبت قبلناك.** قال: فإن لم أتُب؟ قال عليّ عليه السلام: **إذًا نضرب الذي فيه عيناك.** فقال عمر: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمَّة من إذا اعوججنا أقام أودنا»[2]، وهذا اعتراف واضح منه بأولويَّة عليّ عليه السلام.

وقال سعيد المسيَّب: «سمعت عمر بن الخطاب يقول: اللهمَّ لا تُبقِني لمعضلة ليس لها عليّ بن أبي طالب حيًّا»[3]. وعن جابر قال: «قال عمر: كانت لأصحاب محمَّد صلى الله عليه وآله ثماني عشرة سابقة، فخصَّ عليّ منها بثلاث عشرة، وشركنا في الخمس»[4].

=الدرُّ المنثور، ج٢، ص١٣٣.

(١) الخوارزمي، المناقب، ص٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص٩٨-٩٩.

(٣) المصدر نفسه، ص٩٧.

(٤) المصدر نفسه، ص٩٩.

أكَّدت كلُّ الأحاديث التي نقلها العلَّامة الحِلِّيّ أنَّ الإمام عليًّا عليه السلام أعلم الناس، ومنها أيضًا قول ابن عبَّاس: «العلم ستَّة أسداس، لعليّ بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس، وللناس سدس واحد، ولقد شاركنا في السدس حتَّى لهو أعلم به منَّا»[1]، والأخبار في ذلك أكثر من أن تُحصى.

الوجه العاشر: عليّ عليه السلام جامع القرآن بعد النبيّ الأكرم

اشتغل الإمام عليه السلام بجمع القرآن بعد وفاة النبيّ محمَّد صلى الله عليه وآله قبل أيِّ شخصٍ آخر، وعن ذلك روى أبو المؤيَّد بإسناده إلى الإمام عليّ عليه السلام قال: «**لـمَّا قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله أقسمت لا أضع ردائي عن ظهري حتَّى أجمع ما بين اللوحين، فما وضعت ردائي عن ظهري حتَّى جمعت القرآن**»[2]، وعلَّم الناس تفسيره، وكان أخصّهم به في ذلك ابن عبَّاس[3].

الوجه الحادي عشر: القضايا العجيبة الدالَّة على علم عليّ عليه السلام

دلَّت الكثير من القضايا العجيبة على كمال علم وغزارة فضل الإمام عليّ عليه السلام، وكان من أبرزها أنَّه عليه السلام جاءه شخصان كانا سائرَين في طريق، ومع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة، فجلسا يأكلان، فقدِم عليهما ثالث، فأكل معهما، فلمَّا فرغوا رمى لهما ثمانية دراهم عوضًا عن أكله، فطلب صاحب الأكثر خمسة، فامتنع عليه صاحب الأقل، فترافعا إلى عليّ عليه السلام، فقال لصاحب الأقلِّ: **قد أنصفك**، فقال له: ما آخذ إلَّا حقِّي، وهو أكثر من ثلاثة، وأنا أريد الحقَّ. فقال له عليّ عليه السلام: **إذا كان كذلك، فلكَ درهم واحد، كلُّ واحدٍ منكم قد أكل رغيفَين وثلثَي رغيف، فبقي لك من خبزك ثلث رغيف أكلهُ**

(١) الخوارزمي، المناقب، ص٩٢.
(٢) المصدر نفسه، ص٩٤.
(٣) كشف اليقين، ص٦٥.

الثالث، وأكل من خبز صاحبك رغيفين وثلث رغيف، فلكلٍّ ثلث درهم[1].

ومن القضايا العجيبة الأخرى، أنَّ امرأة ركبت أخرى، فجاءت ثالثة فنخست المركوبة، فوقعت الراكبة وماتت، فقضى بثلثي ديتها على الناخسة والمركوبة؛ لأنَّ التلف وقع منها وأسقط الثلث لركوبها عبثًا، فصوَّبه النبيّ صلى الله عليه وآله[2].

ونقل ابن المطهَّر من مسند أحمد ابن حنبل قضيَّة عجيبة أُخرى للإمام عليه السلام، وهي أنَّ جارية كانت بين اثنين وطئاها في طهرٍ واحد فحملت، فأشكل الحال، فترافعا إليه فحكم عليه السلام بالقرعة، فصوَّبه رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: «**الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داوود** عليه السلام. يعني به القضاء بالإلهام»[3].

ورُفِعت قضيَّة من هذه القضايا إلى إبي بكر، إذ إنَّ بقرة قتلت حمارًا، فترافع المالكان إليه، فقال: بهيمة قتلت بهيمة لا شيء على ربِّها، ثمَّ مضيا إلى عمر فقضى بما قضى صاحبه، ثمَّ مضيا إلى الإمام عليه السلام، فقال: «**إن كانت البقرة دخلت الحمار في منامه، فعلى ربِّها قيمة الحمار لصاحبه، وإن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته، فلا غرم على صاحبها**. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد قضى عليّ بن أبي طالب بينكما بقضاء الله عزَّ وجلَّ»[4].

وجاءت امرأتان إلى الإمام عليه السلام ذات يوم، ومعهما طفل ادَّعته كلٌّ منهما، فوعظهما فلم ترجعا، فقال: «**يا قنبر آتني بالسيف**. فقالتا له: ما تصنع به؟ فقال: **أشقُّه نصفَين، وأُعطي كلَّ واحدة منكما نصفه**، فرضيت أحديهما، وصاحت الأخرى وقالت: يا أمير المؤمنين إن كنت لا بدَّ فاعلًا فاعطها إيَّاه، فعرف أنَّه ولدها، ولا شيء للراضية،

(١) الاستيعاب، ص٥٣٠-٥٣١.

(٢) نور الله التستريّ، إحقاق الحقِّ وإزهاق الباطل، ج٨، تعليق: شهاب الدين الحسينيّ، منشورات مكتبة المرعشيّ، ط١، قم، د.ت، ص٨٦.

(٣) المسند، ج٤، ص٣٧٣.

(٤) الصواعق المحرقة، ص٧٣.

فسلَّمه إليها، فرجعت مدَّعية الباطل إلى الحقِّ»[١]. ومثل هذه القضيَّة العجيبة أيضًا قضيَّة الدار، إذ وقعت على قوم، وخرج منها صبيَّان ادَّعى كلُّ واحد منهما أنَّه مالك الآخر، فأمر الإمام عليه السلام بإخراج رأسيهما من روزنة، ثمَّ قال: «**يا قنبر جرِّد السيف**، وأشار إليه لا تفعل إلَّا ما آمرك، ثمَّ قال: **يا قنبر اضرب رقبة العبد**، فهرب أحدهما، وبقي الآخر، ورجع الهارب إلى الحقِّ، واعترف بأنَّه العبد»[٢].

وأضاف ابن المطهَّر في هذا الجانب الكثير من الشواهد الأخرى، لاسيما تلك التي توضِّح رجوع الشَّيخَين إلى الإمام عليه السلام فيها، ومنها أنَّ رجلًا رُفِع إلى أبي بكر، وقد شرب الخمر، فأراد أن يقيم عليه الحدّ، فقال له: إنَّني شربتها ولا علم لي بتحريمها، لأنَّني نشأت بين قومٍ يستحلُّونها، فارتج أبو بكر، ولم يعلم وجه القضاء فيه، فاستخبر عليًّا عليه السلام عن الحكم في ذلك، فقال: «**ابعث ثقتَين من رجال المسلمين يطوفان على مجالس المهاجرين والأنصار ويناشدوهم: هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم من رجلين ثقتَين من المسلمين، أو أخبراه بذلك عن رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحدَّ عليه، وإن لم يشهد أحد من المهاجرين والأنصار بذلك، فاستتبه وأخلِ سبيله.** ففعل ذلك أبو بكر»[٣].

وسُئل أبو بكر عن قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾[٤] ما معنى الأبّ؟ فقال: «أيّ سماء تظلّني أم أيّ أرضٍ تقلّني، إن قلت في كتاب الله بما لا أعلم، أمَّا الفاكهة فنعرفها، وأمَّا الأبّ فالله أعلم به. فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام مقاله، فقال عليه السلام: **يا سبحان الله، أما علم أنَّ**

(١) محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، المفيد (ت٤١٣هـ)، الإرشاد، منشورات مطبعة المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ، ص١١٠.
(٢) كشف اليقين، ص٦٨.
(٣) المصدر نفسه، ص٦٨.
(٤) عبس: ٣١

الأبّ: هو الكلأ والمرعى؟ وأنَّ الله تعالى ذكره تعريفًا لعباده بما أنعم به عليهم وعلى أنعامهم، ممَّا يُحيي به أنفسهم وتقوم به أجسادهم»[1].

ومنه أيضًا أنَّ أبا بكر سُئل عن الكلالة، فقال: «أقول فيها برأيي، فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمنِّي ومن الشيطان. فبلغ أمير المؤمنين عليه السلام ذلك فقال: **ما أغناه عن الرأي في هذا المكان، أما علم أنَّ الكلالة هم الإخوة والأخوات من قِبَل الأم والأب، ومِن قِبَل الأب على انفراده، ومن قِبَل الأم أيضًا على انفرادها»**[2].

جاء رجل من أحبار اليهود إلى أبي بكر، وقال له: «أنت خليفة نبيِّ هذه الأمَّة؟ فقال: نعم. قال اليهوديّ: إنَّا نجد في التوراة أنَّ خلفاء الأنبياء أعلم أُممهم؛ فأخبرني عن الله أين هو أ في السماء أم في الأرض؟ فقال أبو بكر: هو في السماء على العرش. فقال اليهوديّ: فأرى الأرض خالية منه، وأراه على هذا القول في مكانٍ دون مكان. فقال له أبو بكر: هذا كلام الزنادقة، أغرب عنِّي وإلَّا قتلتك، فولَّى الحَبر متعجِّبًا يستهزئ بالإسلام، فاستقبله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: **يا يهوديّ، قد عرفت ما سألتَ عنه، وما أُجِبت به، وإنَّا نقول: إنَّ الله جلَّ جلاله أينُ الأينِ، فلا أينَ له، وجلَّ عن أن يحويه مكان، وهو في كلِّ مكان بغير مماسَّة ولا مجاورة، يحيط علمًا بما فيها، ولا يخلو شيء منها تدبيره تعالى، وإنِّي مُخبرك بما جاء في كتابٍ من كتبكم يصدِّق ما ذكرته لك، فإن عرفته أتؤمن به؟** قال اليهودي: نعم. فقال عليه السلام: **ألستم تجدون في بعض كتبكم أنَّ موسى ابن عمران عليه السلام كان ذات يوم جالسًا، إذ جاءه ملك من المشرق، فقال له موسى: من أين أقبلت؟ فقال من عند الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ جاءه ملك من المغرب، فقال له: من أين جئت؟ فقال من عند الله عزَّ وجلَّ، ثمَّ جاءه ملك آخر، فقال له: من ين جئت؟ فقال جئتك من السماء**

(١) الإرشاد، ص١٠٧.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠٧.

السابعة، من عند الله تعالى. ثمَّ جاءه ملك آخر، فقال له: جئتك من الأرض السفلى من عند الله عزّ وجلّ، فقال موسى: سبحان من لا يخلو منه مكان، ولا يكون إلى مكان أقرب من مكان. فقال اليهودي: أشهد أنَّ هذا هو الحقُّ، وأنك أحقُّ بمكان نبيِّك ممَّن استولى عليه»[1].

وأضاف ابن المطهَّر قضيَّة أخرى هي أنَّ قدامة بن مظغون شرب الخمر، فأراد عمر أن يحدَّه: فقال له قدامة: لا يجب عليّ الحدُّ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[2]، فدرأ عمر عنه الحدَّ، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام، فمشى إلى عمر وأنكر عليه في ترك إقامة الحدِّ، فاعتذر بالآية، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: «**ليس قدامة من أهل هذه الآية، إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات لا يستحلُّون حرامًا، فارده واستتبهُ ممَّا قال، فإن تاب فأقم عليه الحدّ، وإن لم يتُب فاقتله، فقد خرج عن الاسلام**، فاستيقظ عمر ولم يدرِ كم يحده، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام عرِّفني الحدّ؟ فقال عليه السلام: **حدُّه ثمانين، إنَّ شارب الخمر إذا شربها سكر، وإذا سكر هذى، وإذا هذى افترى.** فحدَّه عمر ثمانين»[3].

واستدعى عمر ذات يوم امرأة كانت تتحدَّث الرجال عندها، فلمَّا جاءها رسوله فزعت وخافت، فأسقطت فوقع ولدها إلى الأرض مستهلًا ثمَّ مات. فجمع عمر الصحابة وسألهم، «فقالوا له: نراك مؤدِّبًا ولا شيء عليك، فقال لأمير المؤمنين عليه السلام: ما عندك يا أبا الحسن؟ فقال عليه السلام: **إنَّ كان القوم قاربوك فقد غشُّوك، وإن كانوا ارتأوا فقد قصَّروا، والدِّية على عاقلتك؛ لأنَّ قتل الصبي خطأ تعلَّق بك.** فقال عمر: أنت

(١) الإرشاد، ص١٠٨.
(٢) المائدة: ٩٣.
(٣) الإرشاد، ص١٠٩.

والله نصحتني من بينهم، والله لا تبرح حتَّى تجزئ الدية على بني عدي، ففعل أمير المؤمنين عليه السلام»[1].

وفي عهد خلافة عثمان بن عفَّان، أنَّ امرأة نكحها شيخ كبير، فزعم الشيخ أنَّه لم يصل إليها، وأنكر حملها، فاشتبه عثمان الحكم، وسأل المرأة: هل افتضَّك الشيخ؟ وكانت بكرًا، فقالت لا، فأمر عثمان بإقامة الحدِّ عليها، فأنكر أمير المؤمنين ذلك، وقال: «**لعلَّ الشيخ كان ينال منها، ويسيل الماء في قِبلها من غير افتضاض؟** فسأل الشيخ فقال: كنت أُنزِل الماء في قبلها من غير وصول إليها بالافتضاض، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: **الحمل له والولد له وأرى عقوبته على الإنكار**»[2].

وأمَّا حكم المرأة التي ولدت ولدًا له رأسان وبدنان على حقوٍ واحدٍ، فقد التبس الأمر عليهم، فالتجؤوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فقال: «**اعتبروه إذا نام، ثمَّ أنبهوا أحد البدنَين والرأسَين، فإذا انتبها جميعًا معًا في حالة واحدة؛ فهما إنسان واحد، وإن استيقظ أحدهما والآخر نائم، فهما اثنان، وحقّهما من الميراث حقّ اثنين**»[3].

قال الشافعيّ: عرفنا من رسول الله صلى الله عليه وآله أحكام المشركين، ومن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أحكام البغاة. والقضايا الغريبة كثيرة لا تحصى[4].

الوجه الثاني عشر: عليّ عليه السلام يتحدَّى علماء زمانه

تحدى أمير المؤمنين عليه السلام العلماء في زمانه وأمرهم بسؤاله، فقال في غير موطن: «**سلوني قبل أن تفقدوني**»[5]. وقال لكميل بن زياد متأوِّهًا: «**آهٍ إنَّ هنا لعلمًا جما**- وأشار

(١) الإرشاد، ص١١٠.
(٢) المصدر نفسه، ص١١٢-١١٣.
(٣) المصدر نفسه، ص١١٣-١١٤.
(٤) كشف اليقين، ص٧٤.
(٥) شرح نهج البلاغة، ج٦، ص١٣٦.

بيده إلى صدره- لو أصبت له حملة. بلى لا تخلو الأرض من قائم لله بحجَّة على عباده، إمَّا ظاهر مشهور أو خائف مغمور؛ لئلا تبطل حجج الله وبيِّناته»[1].

وقال في بعض خطبه عليه السلام: «أيُّها الناس عليكم بالطاعة والمعرفة لمن لا تعذرون بجهالته، فإنَّ العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به النبيُّون إلى محمَّد خاتم النبيِّين في عترة محمَّد صلى الله عليه وآله، فأين يُتاه بكم، بل أين تذهبون؟»[2].

(١) شرح نهج البلاغة، ج١٨، ص٣٤٦، وج٤، ص٣٧.
(٢) كشف اليقين، ص٧٥.

الخاتمة

اتَّضح لنا أنَّ كتاب كشف اليقين للعلَّامة الحِلِّيّ واحد من أهمِّ المصادر الإسلاميَّة المعتمدة لدى الكثير من الباحثين الإسلاميِّين، سواء من الموالين أو المخالفين.

ووجدنا أنَّ العلامة الحِلِّيّ أكَّد في مسألة الإمامة وجوب نصب الإمام على الله تعالى، انطلاقًا من مبدأ العدل الإلهيّ، وأنَّ البشريَّة بحاجة إلى الأئمَّة، وأنَّ هناك خصال من الواجب توافرها في شخصيَّة الإمام، حتَّى برَّز لنا فضائل أمير المؤمنين عليه السلام التي فاقت فضائل سائر الصحابة، والتي كان بها عليًّا أحقّ الناس بمقام الرسول صلى الله عليه وآله، وردَّ في ذلك على المخالفين.

إنَّ الإمام هو مصدر التشريع بعد القرآن والسنَّة المؤكَّدة عن طريق أهل البيت عليهم السلام، لذا أكَّد الحِلِّيّ ضرورة موالاته، لأنَّه وارث العلم النبويّ، وأنَّه على اتِّصال دائم بالعلم الإلهيّ، والإمامة تنتقل إلى الأئمَّة من ولده وفق خطٍّ ثابتٍ، كما خطَّ الله باللوح لا تبديل ولا تغيير في علمه، وبذلك تكون فضيلة العلم فضيلة متأصِّلة لدى الإمام عليّ عليه السلام، ممَّا أدَّى بالعلَّامة الحِلِّيّ أن يُودع بهذا الكتاب فضائله عليه السلام، من كتب العامَّة ورواياتهم، فأظهر لنا الفضائل المنسوبة إلى غيره، وردَّ الشبهات التي تحوم حول أحقيَّته بالإمامة وخلافة الرسول صلى الله عليه وآله.

تبيَّن من البحث أنَّ فضيلة العلم هي واحدة من الفضائل النفسيَّة التي تمتَّع بها

الإمام، والتي أوصلتنا- دراسة ابن المطهَّر لأبعادها- أنَّهُ أراد إثبات الأعلميَّة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وقد أجمع الناس كافَّة على أنَّهُ أعلم أهل زمانه، ومنه استفاد الناس كافَّة العلوم العقليَّة والنقليَّة، وذلك برز في وجوه عدَّة إنماز بها عليه السلام لإظهار علمه.

قائمة المصادر

- أحمد بن حنبل، المسند، ج١، شرح: أحمد محمَّد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٥م.
- أحمد بن محمَّد الثعلبي(ت٤٢٧هـ)، الكشف والبيان عن تفسير القران، دراسة وتحقيق: إبي محمَّد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعديّ، ج١٠، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- الأصفهانيّ، أبو نعيم(ت٤٣٠هـ)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، ج١، دار الفكر، القاهرة، ١٩٩٦م.
- الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف، مبادئ الوصول إلى علم الأصول، إخراج وتعليق وتحقيق: عبد الحسين البقَّال، دار الأضواء، بيروت، ط٢، ١٩٨٦م.
- الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف، منتهى المطلب في تحقيق المذهب، تقديم: محمود البستانيّ، ج١، نشر: مجمع البحوث الإسلاميَّة، مشهد، ١٤١٢هـ.
- الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف، منهاج الكرامة في معرفة الإمامة، ج١، مؤسَّسة عاشوراء للتحقيقات والبحوث الإسلاميَّة، مشهد، ١٣٧٩ش.
- الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف، نهج الحقِّ وكشف الصدق، علَّق عليه: الحجَّة الشيخ عين الله الحسنيّ، د.م.، بيروت، ١٩٨٢.

- الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف، الألفين في إمامة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، بيروت، ١٤٠٢هـ.
- الحِلِّيّ، الحسن بن يوسف، النافع يوم الحشر، بشرح المقداد السيوريّ، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٨م.
- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، تحقيق: محمَّد إبراهيم، مج١، دار الكتاب العربيّ، ط١، بغداد، ٢٠٠٧م.
- الخطيب البغداديّ (ت٤٣٦هـ)، تاريخ بغداد، ج١١، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميَّة بيروت، لبنان، د.ت.
- الدمشقيّ، ابن كثير (ت٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، ج١٤، مكتبة المعارف، بيروت، ط٧، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
- الزركليّ، خير الدين، الأعلام، ج٣، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٥.
- الشافعيّ، أبو عبد الله محمَّد بن يوسف بن محمَّد القرشيّ الكنجيّ (ت٦٥٨هـ)، كفاية الطالب في مناقب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام، مطبعة الغريّ، النجف، ١٩٣٧م.
- ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، تحقيق: عليّ شيري، ج٤٢، د.م، ١٤١٥هـ.
- العسقلانيّ، شهاب الدين، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج٢، د.م، د.ت.
- عليّ الشابِّي، الشيعة في إيران، طبعة تونس، ١٩٨٠م.

- عليّ بن محمَّد الواسطيّ، ابن المغازليّ (ت٤٨٣هـ)، مناقب أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب، تحقيق وتعليق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله، دار الآثار، صنعاء، ط١، ٢٠٠٣م.
- الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١٠، المطبعة البهيَّة المصريَّة، ط١، مصر، ١٩٣٨م.
- الفضليّ، عبد الهادي، خلاصة علم الكلام، دار المؤرِّخ العربيّ، ط٢، بيروت، ١٩٩٣م.
- القاضي، عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة، تحقيق: عبد الكريم العثمان، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٥م.
- القمِّيّ، سعد بن عبد الله، المقالات والفرق، تصحيح: محمَّد جواد مشكور، مركز انتشارات علمي وفرهنكي، طهران، ١٩٦٣م.
- المالكيّ، ابن الصبَّاغ عليّ بن محمَّد بن أحمد المكِّيّ، الفصول المهمَّة في معرفة الأئمَّة، ج١، تحقيق وتعليق: سامي الغريريّ، دار الحديث، قم، ١٣٧٣ش.
- محبّ الدين أبي العبَّاس أحمد بن عبد الله الطبريّ المكِّيّ (ت٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق وتعليق: أكرم البوشي و محمود الأرناؤوط، ط١، دمشق، ١٤١٥هـ.
- محمَّد الأنور السنهوتيّ، عقائد الإماميَّة الاثنا عشريَّة وأصولها، القاهرة، د.ت.

- محمَّد الخوانساريّ، روضات الجنَّات، إيران، ١٨٦٧.
- محمَّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ (ت٧٤٨هـ)، ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: عليّ محمَّد البجاويّ، ج٤، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.
- محمَّد بن عيسى الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذيّ الجامع الكبير، مج٥، تحقيق ودراسة: مركز البحوث وتقنيَّة المعلومات، دار التأصيل، ط١، القاهرة، ٢٠١٤م.
- محمَّد بن عيسى الترمذيّ (ت٢٧٩هـ)، سنن الترمذي، تحقيق وتصحيح: عبد الرحمن محمَّد عثمان، ج٥، باب ٨٧، ط٢، ١٩٨٣م.
- محمَّد بن محمَّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، المفيد (ت٤١٣هـ)، الإرشاد، منشورات مطبعة المكتبة الحيدريَّة، النجف، ١٩٦٢م/ ١٣٨٢هـ.
- محمَّد عليّ الجنديّ، ابن المطهَّر الحِلِّيّ، جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف ابن عليّ (ت٧٢٦هـ) وآراؤه الكلاميَّة، المكتب المصريّ للمطبوعات، القاهرة، ٢٠١١.
- موفق بن أحمد بن محمَّد المكِّيّ الخوارزميّ (ت٥٦٨هـ)، المناقب، تحقيق: مالك المحموديّ، مؤسَّسة النشر الإسلاميّ، قم، ١٤١١هـ.
- النسائيّ، أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب (ت٣٠٣هـ)، خصائص أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه، تحقيق: أحمد ميرين البلوشيّ، مكتبة المعلَّا، الكويت، ط١، ١٩٨٦م.

- نور الله التستريّ، إحقاق الحقِّ وازهاق الباطل، ج٨، تعليق: شهاب الدين الحسينيّ، منشورات مكتبة المرعشيّ، ط١، قم، د.ت.
- هادي فضل الله، مقدِّمات في علم المنطق، دار الهادي، بيروت، ١٩٩٦م.
- الهيتميّ، شهاب الدين أحمد بن حجر المكِّيّ (ت٩٧٤هـ)، الصواعق المحرقة في الردِّ على أهل البِدَع والزندقة، مراجعة: أبو عبد الله مصطفى بن العدويّ، تحقيق: عادل شوشة، مكتبة فيَّاض، مصر، ط١، ٢٠٠٨م.
- يوسف بن عبد الله القرطبيّ النمريّ (ت٤٦٣هـ)، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تصحيح وإخراج: عادل مرشد، دار الأعلام، ط١، ٢٠٠٢م.